العدوان على جنين.. الدوافع والانعكاسات

وسام أبونشمالة
كاتب ومحلل سياسي

كان العدو الإسرائيلي قد قرر الانسحاب من جنين المحتلة بعدما شن عدواناً أسفر عن ارتقاء ١٢ شهيداً ومقتل جندي صهيوني، وكان الأوسع منذ عدوان عام ٢٠٠٢ على الضفة الغربية المحتلة، التي عرفت حينها بعملية "السور الواقي".

وأبلت المقاومة الفلسطينية بلاء حسناً في التصدي للعدوان، على الرغم من الفارق الكبير في موازين القوة على الأرض؛ فالعدو استخدم أشكال الأسلحة الأكثر تطوراً، إلا أن تقدمه كان بطيئاً ومتعثراً وأقل إنجازاً، ولا سيما على صعيد استهداف خلايا المقاومة المسلحة التي يبدو أنها كانت مستعدة ومتيقظة لنياته، وأعدت خططاً دفاعية قللت حجم الخسائر في الأرواح. كما أنّ قوات العدو خشيت الالتحام المباشر بالمقاومين كي تتجنب الخسائر البشرية، واعتمدت في عدوانها على سلاحي الجو والاستخبارات، إلى جانب القوات البرية المحمولة في الدبابات والناقلات المدرعة.

يتضح من سير المعركة على الأرض أن العدو استهدف بشكل مكثف قطاعات مدنية، كشبكتي الماء والكهرباء، وهدم عدد من المنازل، بهدف التأثير في الحاضنة الشعبية للمقاومة في جنين، وإضعاف قدرة المقاومين على الكر والفر، وتقويض أسلوب حرب العصابات الذي تتبعه المقاومة بما يتناسب مع بيئتها في المخيم، ومواجهة قوات نظامية مؤللة وبغطاء جوي وقدرات نارية واستخبارية وتكنولوجية عالية.

ولجأ العدو إلى تدمير الطرقات وتجريفها عبر جرافات عسكرية مجنزرة من طراز "D٩"، وتدمير المنازل المحاذية لها، بذريعة التخلص من العبوات الناسفة التي زرعتها المقاومة في إطار دفاعها عن المخيم من العدوان المتكرر عليه.

يبدو أن العدو اتخذ قرار شن عدوان واسع على جنين بعد تكرار عمليات المقاومة المسلحة الناجحة، ولا سيما عملية مستوطنة عيلي شمال رام الله قبل نحو أسبوعين، التي أسفرت عن مقتل ٤ مستوطنين، إلا أنه يعتقد أنه استعد لها منذ عدة أشهر، وربما عام، كما كشفت مصادر العدو الإعلامية.

وكان سبب التأجيل المتكرر هو خشية "جيش" العدو من فقدان السيطرة على العملية، وتسببها بخسائر في قواته، وسقوط عدد كبير من الشهداء، على نحو قد يؤدي إلى تدحرجها إلى مواجهة أوسع، وتنفيذ عمليات انتقامية، وربما ردود عسكرية من قطاع غزة.

ولكن عملية عيلي، وضغوط المستوطنين المتطرفين، وتصريحات بن غفير الإرهابية، ومزايدات المعارضة، إلى جانب رغبة نتنياهو في استعادة جزء من شعبيته وإحباط جهود المعارضة في تصعيد الاحتجاجات على التعديلات القضائية بشكل نوعيّ، كلها عوامل دفعت العدو إلى اتخاذ قرار شن عدوان واسع على جنين.

وساهم تطور قدرات المقاومة في جنين كماً ونوعاً، لا سيما تصنيع العبوات الناسفة التي تمكّنت من إعطاب عدد من الآليات وإصابة ٨ جنود في داخلها أثناء اقتحامها المخيم قبل نحو أسبوعين، في حسم الخلافات داخل المؤسسة الأمنية من جهة (الاستخبارات و"الجيش" والشاباك)، وبينها وبين المستوى السياسي من جهة أخرى، وترجيح وجود حاجة عملياتية لشن عدوان واسع على جنين، بدلاً من الاستمرار في سياسة "جز العشب" وعملية "كاسر الأمواج"، خشية تحول جنين تدريجياً إلى نموذج شبيه بقطاع غزة، إلى جانب الرغبة في ترميم الردع المتأكل، والعمل على كي وعي جيل المقاتلين الجدد في المخيم، وردعهم عن المضي في مسار المقاومة المسلحة عن طريق جبي أثمان منهم في الأرواح والممتلكات.

كما أن العدو يعي حالة الضعف المتزايد للسلطة الفلسطينية، ويظن أن انتشار ظاهرة الخلايا المسلحة وتوسعها سيحول الضفة الغربية بعد غياب رئيس السلطة محمود عباس إلى فوضى عارمة بسبب الصراع على خلافته داخل البيت الفتحاوي، ما سيوسع هامش المواجهة مع العدو بعد فراغ موقع رئاسة السلطة، الأمر الذي سيدفعه إلى تنفيذ عمليات عدوانية واسعة على فترات متقطعة، على غرار العدوان على جنين، للعمل على إضعاف الخلايا المسلحة وقضم قدراتها على نحو يقلل خطرها بعد مرحلة غياب عباس.

وبمجرد اتخاذه قرار العدوان الواسع على جنين، أدرك العدو أنه اعترف ضمنياً بإخفاق حملة "كاسر الأمواج" التي أطلقها قبل أكثر من عام لمواجهة تصاعد المقاومة في الضفة الغربية المحتلة، وهو يدرك أيضاً أن تمكنه من قتل عدد من المقاومين لن ينهي حالة المقاومة، ولن يردع الشباب الجدد من الانضمام إلى صفوفها، وسيدفع آخرين إلى تنفيذ عمليات انتقام، على غرار عملية "تل أبيب" الفدائية بعد ساعات من العدوان.

إن أحد المآلات التي يخشاها العدو هو تمدد المقاومة وتوسعها إلى جنوب الضفة الغربية، بعدما تركزت في شمالها حتى الآن. وقد تعكس عملية "تل أبيب" التي نفذها الشهيد عبد الوهاب خلايلة من قرية السموع قضاء الخليل بداية لتحرك أوسع داخل الخليل أو انطلاقاً منها، الأمر الذي سيؤدي إلى انتشار حالة المقاومة في ربوع الضفة الغربية من شمالها إلى وسطها وجنوبها، ما سيجبر العدو على نشر مزيد من قواته والتركيز على جبهة الضفة الغربية.

إن خشية العدو من انعكاسات عدوانه على جنين على الساحات والجبهات الأخرى، وخشيته من وقوع خسائر في قواته، وتحسبه من وقوع عمليات انتقامية، إلى جانب إدراكه أن شرعية عدوانه الدولية تتراجع عكسياً مع طول مدة العدوان، دفعه إلى تقصير فترة عدوانه على جنين والتسريع في إنهائه ووقف عملياته.

> أبلت المقاومة الفلسطينية في جنين بلاء حسناً في التصدي للعدوان الإسرائيلي، على الرغم من الفارق الكبير في موازين القوة على الأرض

مستقبل أوروبا في ظل التظاهرات الفرنسية

ليلى نقولا
أستاذة العلاقات الدولية

لم تكد التظاهرات في فرنسا بسبب رفض إصلاح نظام التقاعد الذي أقرّته حكومة الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون تهدأ، حتى بدأت موجة جديدة من العنف على خلفية قتل الشرطة الفرنسية مراهقاً وانتشار فيديو يظهر أنّها قتلته من دون أن تكون هناك حاجة إلى ذلك، إذ لم تكن حياة الشرطي مهددة. وفي السنوات السابقة، عرفت فرنسا تظاهرات كبرى عرفت باسم "السترات الصفراء"، التي خرجت بعد قيام الحكومة بفرض ضريبة إضافية على الوقود لتمويل العجز في الخزينة، على الرغم من الصعوبات الاقتصادية التي تعانيها الطبقات الفقيرة والمتوسطة.

وكان استطلاع للرأي نُشرت نتائجه في شهر نيسان/أبريل الماضي قد أشار إلى أن أكثر من ٧٠٪ من الفرنسيين غير راضين عن أداء ماكرون الذي تقترب شعبيته من أدنى مستوياتها، وأبدى نحو ٢٦٪ فقط من المشاركين رضاهم عن أدائه، بتراجع نقطتين مقارنة باستطلاع مماثل في آذار/مارس ٢٠٢٣.

وواقعياً، لا تختلف الأوضاع العامة في فرنسا كثيراً عن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي تعيشها أوروبا، وإن كانت قد اتخذت منحى عنيفاً أكثر في فرنسا، وأدّت إلى قيام تظاهرات عارمة، فيما تبدو المدن الأوروبية الأخرى أكثر هدوءاً، لكن يبدو مشهد الهدوء الأوروبي كأنه نارٌ تحت رماد لا تُعرف شرارة انفجاره، ويخفي تحته ما يلي:

أزمة اقتصادية اجتماعية

عانى الاقتصاد العالمي بشكل عام، والاقتصاد الأوروبي بشكل خاص، تداعيات الإقفال الذي فرضته جائحة كورونا، ثم أتت الحرب الأوكرانية لتفرض صعوبات من نوع آخر على الأوروبيين الذين عانوا بفعل ارتفاع أسعار الكهرباء والطاقة، وارتفاع أسعار المواد الغذائية، والتضخم غير المسبوق الذي دفع المصارف المركزية إلى رفع أسعار الفائدة لكبحه، وهو ما قد يؤدي إلى ركود تضخمي في السنوات القادمة.

ولا شكّ في أن الطبقات الفقيرة والمتوسطة هي الأكثر تأثراً بهذه التداعيات، إذ تقتطع المصاريف الأساسية الثابتة الجزء الأكبر من الرواتب، ما يجعلها تتجه إلى التصويت الاعتراضي (لليمين المتطرف) أو الخروج في تظاهرات ضد السلطة أو غير ذلك.

وفي اتجاه موازٍ، تُثار الشكوك لدى العديد من المزارعين في جميع أنحاء أوروبا، إذ يرون أن سياسات الاتحاد الأوروبي تريد إفقارهم وتجويعهم، معتبرين أنّ "بيروقراطيي الاتحاد الأوروبي بدأوا في هولندا، وسيأتون إليهم لاحقاً".

ويتظاهر المزارعون في هولندا منذ أشهر، بعدما صدرت قرارات حكومية مدعومة من مؤسسات الاتحاد الأوروبي تسعى لإجبارهم على بيع أراضيهم، وخفض أعداد الثروة الحيوانية التي يملكونها بنسبة ٣٠٪، وإقفال مزارعهم طواعية (مقابل بدل مادي)، لخفض انبعاثات النيتروجين والوفاء بتفويض الاتحاد الأوروبي بشأن أهداف المناخ.

الإنفاق الدفاعي

كما فرضت الحرب الأوكرانية وسياسة حلف الناتو على الأوروبيين زيادة الإنفاق الدفاعي وتمويل الحرب الأوكرانية وإمداد أوكرانيا بالمساعدات العسكرية والأموال وسواها، ما يعني زيادة كبرى في الإنفاق الدفاعي لم تعرفه القارة الأوروبية منذ الحرب العالمية الثانية.

ولا شكّ في أن تعهّد الأوروبيين بإنفاق دفاعي بلامس عتبة ٢٪ من الناتج القومي -كما تنص معاهدة الناتو- سيحرم الخزائن الوطنية من موارد مالية مهمة كان يمكن إنفاقها على الخدمات العامة لتحسين مستوى معيشة السكان من الطبقات المتوسطة والفقيرة، وسيقوّض القدرة على الإنفاق على القطاعات الأخرى، كالصحة والتعليم وسواهما.

ارتفاع الشعبوية

هذا ويعاني الغرب بشكل عام انقساماً مجتمعياً وسياسياً يتمحور حول القيم والحريات والمُثل وغيرها. من جهة، هناك اليمين المتطرف الذي ترتفع أسهمه بشكل كبير، والذي يركّز على الهجرة، باعتبارها إحدى أسوأ الكوارث التي تعيشها أوروبا. ليقوم هذا التيار بتحميل السلطات الأوروبية المتعاقبة مسؤولية فتح باب الهجرة، وخصوصاً من الشرق الأوسط وأفريقيا، ويحمّل المهاجرين مسؤولية الأزمات الاقتصادية والاجتماعية، وينبّه من "خطورة تغيير وجه أوروبا الحضاري"، ويحذّر من فقدان الهوية الأوروبية. في المقلب الآخر، ترتفع شعبوية ليبرالية يسارية تهدف إلى تكريس المثلية الجنسية وتغيير الجنس، ولكنها تجد رفضاً من اليمين والعديد من الفئات المتدينة، ما يخلق انقسامات مجتمعية حادّة.

في النتيجة، تعيش الشعوب والحكومات الأوروبية اليوم على وقع الصراع الدولي القائم في أوكرانيا، الذي يمكن أن يتمدد إلى أماكن أخرى ويستمر لسنوات. وفي هذا الإطار، يبدو من الأفضل للأوروبيين أن تنتهي الحرب الأوكرانية بسرعة، فكلما طال أمدها كانت تداعياتها أكبر على الاتحاد الأوروبي، وقد تصل إلى تهديد وحدته.

> لا تختلف الأوضاع العامة في فرنسا كثيراً عن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي تعيشها أوروبا، وإن كانت قد اتخذت منحى عنيفاً أكثر في فرنسا، وأدّت إلى قيام تظاهرات عارمة

التحليل الإخباري

ماذا تعني عضوية إيران في منظمة شنغهاي؟

زينب عقيل
كاتبة ومحللة استراتيجية

الواقع أن قبول إيران كعضو كامل العضوية في منظمة شنغهاي للتعاون سيفتح أفقًا جديدًا للتعددية. وسيكون مفيدًا ليس فقط لإيران ولكن للمنطقة بأسرها. جادل العديد من المحللين بأنه حتى لو لم تكن إيران قادرة على جني العديد من الفوائد الفورية من الانضمام إلى منظمة شنغهاي للتعاون، فإن ذلك يشير إلى استعداد إيران لمتابعة علاقات أقوى مع الصين وروسيا، أقوى عضوين في المنظمة. وقد سلطت وسائل الإعلام الإيرانية الضوء على خبر عضوية إيران في منظمة شنغهاي للتعاون كدليل على أن إيران والصين "تقتربان بشكل كبير"، مع التأكيد على أن الضغط المحتمل من الصين وروسيا كان عاملًا في قبول إيران في المنظمة.

تعزيز للنظامين الاقتصادي والسياسي في إيران

يعد الانضمام إلى منظمة شنغهاي للتعاون نجاحًا لإيران على الصعيدين الاقتصادي والسياسي. منذ عام ٢٠١٨، عندما انسحب دونالد ترامب من اتفاق طهران النووي مع القوى الكبرى بما في ذلك روسيا والصين، عانى الاقتصاد الإيراني بشدة. لذلك، فإن الانضمام إلى منظمة شنغهاي للتعاون سيفتح آفاقًا جديدة للتجارة والتعاون مع الدول المجاورة التي تساعد إيران في المقابل على حل تحدياتها الاقتصادية.

رفع قيمة المنظمة لحلّ التحديات الإقليمية

ويتوقع الخبراء أن إضافة إيران إلى هيكل منظمة شانغهاي للتعاون سيرفع من القيمة الكبيرة لمنظمة شانغهاي للتعاون كمنظمة إقليمية. لدى منظمة شانغهاي للتعاون الآن جميع اللاعبين الضروريين لحل التحديات الإقليمية مثل الأمن والاتصال والتنمية الاقتصادية. فبعد أن أصبحت المملكة العربية السعودية أيضا شريكًة في الحوار، يمكن لمنظمة شنغهاي للتعاون توفير منصة لإيران والمملكة للعمل على حل خلافاتهما. من ناحية أخرى، ستكون فرصة لباكستان وإيران أيضا للجلوس إلى طاولة المفاوضات والتحدث عن القضايا الخلافية القائمة بين الدول المجاورة.

زيادة عدد المتحالفين ضدّ الولايات المتحدة

بالنسبة للصين، فإن وجود إيران، بإمداداتها الوفيرة من الطاقة، في منظمة شنغهاي للتعاون أمر مطمئن مع تصعيد الصراع مع الولايات المتحدة. في عام ٢٠٢١، وقعت الصين وإيران اتفاقا مدته ٢٥ عاما للتعاون في مجالات تشمل النفط. وأشار تقرير لبلومبرج هذا العام إلى أن شركات التكرير الخاصة في الصين، أكبر مستورد للنفط الخام في العالم، تشتري الآن المزيد من النفط الإيراني مع ارتفاع المنافسة على الإمدادات من روسيا في آسيا.

ولدى روسيا كل الأسباب لوجود المزيد من الحلفاء على المنصة. ومن المرجح أن توقع بيلاروسيا، الحليف الإقليمي الوثيق لروسيا، على مذكرة التزامات، والتي ستؤدي لاحقًا إلى العضوية الكاملة.

إلى ذلك، فإن عضوية إيران في منظمة شنغهاي هي مؤشر آخر على أن الدول ليست مكترثة لإرادة الولايات المتحدة وثمة المزيد من الدول المستعدة للتعامل مع إيران.